

والحرب الصغيرة، ألم تعد كافية؟

ويتحدثون عن حرب. أي حرب هذه، ولماذا ومتى ويمن وضد من؟ لا احد يستطيع ان يجزم. ربما الذين يتوعدون بها، هم انفسهم لا يعرفون. تأكيد ليس المقصود تلك الحرب "العادية" المتجددة ابداً في الجنوب. الامر هو اكثر خطورة، على الاقل في السجال السياسي الذي اخذ يدور بين تل اب والقااهرة ودمشق وواشنطن، فضلاً عن باريس. ترى أتكون الاخطار فعلى في حجم التمهيدات الخطابية؟ ثمة شيء يدفع الى الاجابة بالنفي أن المشهد ما زال غير مقنع. فاذا كانت الحرب في الجنوب حقيقة خطيرة، مميتة يومياً، تبقى "الحرب" الاخرى هلامية. فتقف بازائها كالذي يسمع بعة ولا يرى طحناً لحسن الحظ.

حرب، ولماذا الحرب؟ اليس الجمود القائم في مصلحة الاطراف المعنيين؟ ام لم يعد ممكناً فهم ما يحركهم، بعدما غدا الموقف المعين منفصلاً تماماً؛ الديبلوماسية الفعلية، أي الخفية؟

صحيح ان بنيامين نتانياهو يجسد لغة العنف في اسرائيل. فهمنا ذلك. نعمنا انه لا يريد مجرد البحث في مسألة الجولان، مفضلاً مفاوضة سوريا في موقعها في المنطقة. لكننا ما فهمنا لماذا يوجي انه بدأ هذا التفاوض في الارض، ومن طرف واحد، بعدما افلتت فرصة الانتخابات اللبنانية. اكثر من ذلك، جرت العملية الانتخابية، ولاسيما في الجنوب، في ظل حياض اسرائيلي سمي، وان لم يقف هذا الحياض حائلاً امام مساعدة مباشرة، عبر ناخبي شريط المحتل، لاكثر حلفاء سوريا وفاء. وكلا الامرين، أي الحياض المعين لدعم المبطن، يفضيان الى نتيجة واحدة: غياب الرغبة الاسرائيلية في لاسمة سوريا في لبنان. فمأنا تغير حتى يقرع نتانياهو الطبول على الجبهة الشمالية وقت بدأ يتنيه الى ضرورة تعديل تطرفه بعض الشيء على الجبهة الفلسطينية؟ ام ان الذي تغير ليس في حسابات نتانياهو، وانما في موقف لثائه الاميركيين منه، وان يكن هذا التبدل هو ايضاً غير مفهوم؟ فاذا كان لمد الاميركي الآن استدراج رئيس الوزراء الاسرائيلي الى خطأ ما، فلماذا نت ادارة كلينتون ليونة حياله في الاسابيع المنصرمة؟ واذا كان هدفها استفادة من التناقضات الاسرائيلية، فكيف لا تنتبه الى ان الانزلاق الى خطأ يقف دونه مبدأ استراتيجي ثابت في العلاقة الاميركية - الاسرائيلية؟ لمد الاميركيين كما عند الاسرائيليين لا يمكن حتى التفكير في حرب اقليمية في اقل من ستة اسابيع على الانتخابات الرئاسية الاميركية. لم يحدث الامر مرة واحدة، في خريف ١٩٥٦ ولم تكن النتيجة مؤاتية لثبات العلاقة استراتيجية بين البلدين.

لماذا تبقى؟ هجوم عربي كما في خريف ١٩٧٣؟ لكن احداً لم يعد قادراً على مثل هذه المبادرات بعد فشل شعار التوازن الاستراتيجي. ام تراه استدراج عربي لاسرائيل؟ في هذه الحال، ما هو القصد من الاستدراج وقت لم الجميع ان ما قد يترتب عن "خطأ" نتانياهو اكبر من القدرة العربية على حمل؟

ويتحدثون عن حرب. أي حرب؟ ولماذا حرب اخرى؟ ألا توفي الحرب لصغيرة" العادية في الجنوب بكل الاغراض التي يمكن ان يتوخاها عقل تبكي، سواء كان اسرائيلياً ام عربياً؟